

البر؛ تأصيل قرآني في بناء النظام الأسري

أ.د ضياء عزيز محمد الموسوي

جامعة كربلاء/كلية العلوم الإسلامية

أ.د مكي فرحان كريم

جامعة القادسية/كلية التربية/ قسم علوم القرآن والتربية
الإسلامية

الكلمات المفتاحية: البر، تأصيل، قرآني، الاسرة.

الملخص:

منذ البدائية الإنسانية إلى العصر التقني الحديث كان النظام الأسري يمرّ بمراحل اهتمامية مختلفة إذ تخضع هذه الأهمية للمزاجية العالية فتتعدّم في مواقع على نحو تام وتأخذ الجانب النسبي في مواقع آخر؛ وكان هذا يخلق مشكلة كبيرة في منظومتها البنائية، وقد تعقدت أكثر حينما بلغت التقنية العصرية الحديثة الجديدة مراحل تطويرية متقدمة، فأصبحت مشكلاتها معقدة مركبة على الرغم من أنّها تحررت من (الوّد والتفضيل)، إلى (المخالطة والمساواة)... فلم يجد هناك من قانون وضعي يعالج هذا التعقيد أو يحكمه -على الأقل- بشكل منظم، إلّا إنّ المعيار القرآني أصل لمعالجته وضبطه وحكمه؛ من طريق منظومة قيمية قرآنية، وشرطها بالإلزام، والالتزام... وأسس أصل لبنائها وكيانها ونظامها وهذا التأسيس أعطاها/ الأسرة، أهمية عالية (خطيرة) في التكوين المجتمعي؛ فمن هذه الأهمية والخطورة -في الوقت نفسه- تتبلور فكرة هذا البحث كونها العامل الأصل في برهنة النظرية الاجتماعية... وتتحدد اشكاليته بأنّها معادلة معقدة مركبة، تتطلب نوعاً مختلفاً من البحوث والدراسات للوقوف على معوقات بنائها ووضع معالجات لتذليل بعضها... ونأمل أن يكون هذا البحث إضافة إلى تلك البحوث المتخصصة، وهو ينقسم على: مقدمة ومبحثين وعلى النحو الآتي:

أولاً/ المقدمة، تناولت الاشكالية، ومفهوم البر في اللغة والاصطلاح.

ثانياً/ المبحث الأول، تناول التأصيل القرآني لمفهوم البر، و بناء النظام الأسري في النصوص القرآنية.

المبحث الثاني، الآثار الإيجابية لمفهوم البر في بنية النظام الأسري.

الخاتمة، تضمنت أهم النتائج والاستنتاجات.

المقدمة:

الاشكالية:

بناء على ما انتجته نتائج الدراسات والبحوث والمقالات العلمية والتربوية ذات العلاقة بمحور البحث بحثاً في تاريخية البشرية بصورة عامة، والأسرة على وجه الخصوص وما تعيقها من معوقات ومشكلات منذ بدايتها حتى عصرها الحديث، تحددت هذه الاشكالية.

فالمشكلات الأسرية متجددة ومتنوعة باختلاف العصور وعلى مر الدهور، فمشكلات اليوم وإن اشتملت على بعض مشكلات الأمس إلّا أنّها اختصت ببعض المشكلات المعاصرة التي كانت نتيجة لعوامل جغرافية وثقافية¹.

وكذلك هناك عوامل آخر منها؛ التسلطية الناقدة (غير المنتظمة بوعي تربوي) من الآباء على الأسرة وقيامه باتخاذ القرارات وتحديد مصير أسرته من دون تدخل أي من أفرادها، يكون لها أثر واضح في تسبب العزلة الاجتماعية²؛ إذ أن عدم النضج وعدم التفاهم وانعدام الحوار يؤدي إلى سوء العلاقات الأسرية³.

ويضاف إلى ذلك التغيرات المتسارعة ومنها، الاقتصادية متمثلة بالثراء السريع، وكذلك التطورات التكنولوجية والمعلوماتية والتقنية وما رافقها من تغييرات، وتشاركية اتخاذ القرارات⁴. وهناك مشكلات أخلاقية، ونفسية، وصحية، وفكرية، ووجدانية...

البر في اللغة والاصطلاح:

البرُّ في اللغة؛ بَرَّ "النَّاءُ وَالزَّاءُ فِي الْمَضَاعِفِ أَرْبَعَةُ أَصُولٍ: الصَّدَقُ، وَحَكَايَةُ صَوْتٍ، وَخِلَافُ النَّحْبَرِ، وَنَبَتْ. فَأَمَّا الصَّدَقُ فَقَوْلُهُمْ: صَدَقَ فُلَانٌ وَبَرَّ، وَبَرَّتْ يَمِينُهُ صَدَقَتْ، وَأَبْرَهَا أَمْضَاهَا عَلَى الصَّدَقِ... وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ يَبِرُّ رَبُّهُ، أَيُّ: يُطِيعُهُ. وَهُوَ مِنَ الصَّدَقِ... وَمِنْهُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: (لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ)⁵... وَأَصْلُ الْإِبْرَارِ مَا ذَكَرْنَاهُ فِي الْقَهْرِ وَالْغَلْبَةِ، وَمَرْجِعُهُ إِلَى الصَّدَقِ... وَمِنْ هَذَا الْبَابِ قَوْلُهُمْ: هُوَ يَبِرُّ ذَا قَرَابَتِهِ، وَأَصْلُهُ الصَّدَقُ فِي الْمَحَبَّةِ. يُقَالُ: رَجُلٌ بَرٌّ وَبَارٌّ. وَبَرَزْتُ وَالِدِي وَبَرَزْتُ فِي يَمِينِي. وَأَبَرَّ الرَّجُلُ وَلَدًا أَوْلَادًا أَبْرَارًا...⁶.

"برر: البرُّ: الصَّدَقُ والطاعة... وَبَرَّ يَبِرُّ إِذَا صَلَحَ. وَبَرَّ فِي يَمِينِهِ يَبِرُّ إِذَا صَدَقَهُ وَلَمْ يَخْنَثْ. وَبَرَّ رَحِمَهُ... يَبِرُّ إِذَا وَصَلَهُ... وَرَجُلٌ بَرٌّ بِذِي قَرَابَتِهِ وَبَارٌّ مِنْ قَوْمٍ بَرَّةٍ وَأَبْرَارٍ، وَالْمَصْدَرُ الْبِرُّ... الْبِرُّ بَرٌّ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ... وَإِنَّ الْبِرَّ دُونَ الْإِثْمِ أَيُّ أَنَّ الْوَفَاءَ بِمَا جَعَلَ عَلَى نَفْسِهِ دُونَ الْغَدْرِ وَالنَّكَثِ... وَبَرَّتْ يَمِينُهُ تَبَرُّ وَتَبَرُّ بَرًّا وَبَرًّا وَبُرُورًا: صَدَقَتْ. وَأَبْرَهَا: أَمْضَاهَا عَلَى الصَّدَقِ وَالْبِرِّ: الصَّادِقُ...⁷.

البر في الاصطلاح؛ تتقارب دلالاته الاصطلاحية تقارباً كبيراً من دلالاته اللغوية وبالأصل أنها بنيت في ضوئها، فقد عرّف بأنه؛ الاتساع في الاحسان والزيادة⁸. وهو الخير الواصل إلى الغير من القصد إلى ذلك والخير يكون خيراً إن وقع عن سهو، وضد البر: العقوق⁹. كما يعرف بأنه؛ الكمال المطلوب من الشيء وتحقيق المنافع التي فيه...¹⁰. وكذلك هو التوسع في فعل الخير¹¹.

لذا فإن البر؛ هو اسم جامع للطاعات وأعمال الخير المقربة إلى الله، والتي يسعى المسلم عند القيام بها إلى الكمال، وهو تصور وشعور وأعمال وسلوك، وليس مجرد مظاهر وصور وأشكال بل إحسان يحده حب الله وحب الخير للناس، والبر أنواع ثلاثة؛ جامعة لكل خير: بر في الإيمان، وبر في العمل، وبر في الخلق¹².

وما قيل في حصيلة كلام اللغويين في بيان أصل البرّ وما اشتق من لفظه من استعمالات أخلاقية أنّه يرجع إلى أحد معنيين (الصدق، والسعة)... وهذا ما يرجح أنّ المعنيين هما أصل ينبغي عدّه في الكشف عن دلالة مفهوم (البرّ)؛ فمعنى السعة هو أصل لمشتقات الجذر في السياقات المادية أو المعنوية، وفي السياق الأخلاقي يفيد معنى الشمول في كل ما هو إيجابي، ومعنى الصدق هو أصل في الحقل الأخلاقي من مشتقات جذر (برّ)، ويصعب - في ضوء المعطيات - ترجيح أيّ من الأصلين، كما يصعب استبعادهما لوجهة شواهدهما، ومن طريق السياقات اللغوية والقرآنية نجد وجهة اعتبارهما معاً أصلاً حاضراً فيها؛ فيكون المعنى اللغوي المركزي لمفهوم (البرّ) جامعاً بين معنيي (الصدق والسعة)، فالصدق يحيل إلى المعاني النفسية في ذهن الفاعل للبرّ من القصد والإخلاص والتوجه... والسعة تحيل إلى أوصاف الفعل موضوع البرّ من حيث الإيجابية والإحسان والكثرة... وبالجمع بين الأصلين يمكن القول: إنّ كل فعل أخلاقي يصدق صاحبه في استكمال محاسنه يدخل في البرّ، فصدق فاعل البرّ يدفعه إلى تحقيق مقاصد الفعل وليس أداءه شكلاً فقط، وإقامته على الوجه الأمثل الذي يحقق تلك المقاصد، وهذا المنحى يجعل الفعل موضوع البرّ ارتقاء مستمراً نحو الكمال، لذا كان البرّ مرتبة عليا تستكمل محاسن أفعال الخير...¹³

استقراءً مما سبق من وصف لمفهوم البرّ تتضح دلالاته وتتعدد بتعدد استعمالاته في السياق النصي وجميعها تنتمي إلى الدائرة القيمية وتتحدد ب(الصدق، والطاعة، والمحبة، والصلح، والرحمة، والاتصال/الصلة، والإيمان، والوفاء، والسعة، والإحسان...).

المبحث الأول

التأصيل القرآني لمفهوم البرّ، و بناء النظام الأسري في النصوص القرآنية

في هذا المبحث نستعرض مفهوم البرّ، والأسرة، واستعمالهما في القرآن الكريم، سواء كان هذا الاستعمال بصيغته الصريحة أو ما يدلّ عليه، فقد ورد مفهوم البرّ في الاستعمال القرآني بنحو اثنتين وثلاثين مرة، منها اثنتا عشرة مرة استعمل بمعنى الأرض وما دلّ عليها، بقبالة البحر، والعشرين مرة استعماله الآخر تعددت صيغته الاشتقاقية في سياقات مختلفة، بما يدلّ على المعنى القيمي... أما مفهوم الأسرة فلم يرد ذكره في القرآن الكريم على نحو صريح إنّما استعمل بصيغ تدلّ على معناه، وهنا نشير إلى عينة لهذا الاستعمال المتعدد للمفهومين - بما تسمح به مساحة البحث المحددة - ونخضعها للتفسير، والتحليل، والمناقشة، وعلى النحو الآتي:

أولاً/ التأصيل القرآني لمفهوم البرّ:

1- قال تعالى: "وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ"¹⁴. يبين جمع من المفسرين أنّ البرّ في الآية المباركة؛ "البرّ ضد الإثم، فدلّ على اسم جامع لجميع ما يؤجر عليه الإنسان، وأصله من الاتساع"¹⁵. فقد

اشتملت هذه الآية على مصالح العباد جميعها في معاشهم ومعادهم، فيما بينهم وبين الله... وفيما بينهم وبين الخلق¹⁶. فالدعوة إلى التعاون التي تؤكد عليها الآية الكريمة تعدّ مبدأً إسلامياً عاماً، تدخل في إطاره المجالات الاجتماعية، والأخلاقية، والسياسية، والحقوقية جميعها... والطريق في هذا المجال هو مجيء كلمتي "البر" و"التقوى" في سياق متعلق يشير إلى عمل الخير، لا الإثم¹⁷.

2- قال تعالى: "وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ"¹⁸. (أَنْ تَبَرُّوهُمْ)؛ فسرت في هذا الموقع بـ "...الإحسان¹⁹،... فيبرّون من برّهم، ويحسنون إلى من أحسن إليهم..."²⁰.

3- قال تعالى: "كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ كِرَامٍ بَرَرَةٍ"²¹؛ ومعنى الآيات أن القرآن تذكرة مكتوبة في صحف متعددة معظمة مرفوعة قدراً مطهراً من كل دنس وقذارة بأيدي سفراء من الملائكة كرام على ربهم بطهارة ذواتهم بررة عنده تعالى بحسن أعمالهم... و"بررة" صفة لهم باعتبار عملهم وهو الاحسان في الفعل²².

4- قال تعالى: "إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا"²³؛ "...والأبرار جمع بر بفتح الباء صفة مشبهة من البر وهو الاحسان ويتحصل معناه في أن يحسن الانسان في عمله من غير أن يريد به نفعاً يرجع إليه من جزاء أو شكور فهو يريد الخير لأتّه خير لا لأنّ فيه نفعاً يرجع إلى نفسه وإنّ كرهت نفسه ذلك فيصبر على مرّ مخالفة نفسه فيما يريده ويعمل العمل لأتّه خير في نفسه كالوفاء بالنذر أو لأنّ فيه خيراً لغيره كإطعام الطعام للمستحقين من عباد الله²⁴... فالأبرار مؤمنون بالله ورسوله واليوم الآخر، وإذ كان إيمانهم إيمان رشداً وبصيرة فهم يرون أنفسهم عبيداً مملوكين لربهم، له خلقهم وأمرهم، لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً عليهم أن لا يريدوا إلا ما أَرادَ ربهم ولا يفعلوا إلا ما يرتضيه فقدموا إرادته على إرادة أنفسهم وعملوا له فصبروا على مخالفة أنفسهم فيما تهواه وتحبه وكلفة الطاعة، وعملوا ما عملوه لوجه الله، فأخلصوا العبودية في مرحلة العمل لله سبحانه...²⁵

تبين من النصوص المباركة وما جاء في سياقها تعالفاً بين مفهوم (البر، والتقوى، والقسط، والإكرام...)، وكذلك تبين صفات الأبرار وإكرامهم بكأس رائحتها أطيب من الطيب، فهذه الصفات التي بينت معنى البر؛ إذا ما اتقن معناها، وأحسن تمثلها، فأنتها تولف معياراً أخلاقياً لتربية الفرد، والأسرة، والمجتمع... وهذا ما أصلته النظرية القرآنية لتكون باباً مهماً في الدين والتدين، ومنهجاً واضحاً في السلوك الإسلامي، يتقبل الآخر ويتعايش معه مهما كانت مسافته الاتصالية- وبالتحديد في هذا البحث الخاص بالأسرة- وهاهنا يشير الله تعالى بقوله: "وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌ وَلَا تَنْهَرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا"²⁶؛ إذ قرن الله تعالى عبادته وتوحيده والشكر له ببر الوالدين²⁷، وهو أمر واجب على الفرد، بجعل البر سمة من سمات سلوكه الشخصي... إذ إنّ مقصد الإسلام من الأمر ببر الوالدين وباب صلة الرحم ينحل إلى مقصدين:

"أحدهما نفساني، وهو تربية نفوس الأمة على الاعتراف بالجميل لصانعه، وهو الشكر، تخلقاً بأخلاق الباري تعالى في اسمه الشكور، فكما أمر بشكر الله على نعمة الخلق والرزق أمر بشكر الوالدين على نعمة الإيجاد الصوري، ونعمة التربية والرحمة، وفي الأمر بشكر الفضائل تنويه بها، وتنبيهه على المنافسة في إسدائها. والمقصد الثاني عمراني؛ وهو أن تكون أواصر العائلة قوية العزى، مشدودة الوثوق، فأمر بما يحقق ذلك الوثوق بين أفراد العائلة، وهو حسن المعاشرة؛ ليربي في نفوسهم من التحاب والتواد ما يقوم مقام عاطفة الأمومة الغريزية في الأم...، وفي هذا التكوين لأواصر القرابة صلاح عظيم للأمة، تظهر آثاره في مواساة بعضهم بعضاً، وفي اتحاد بعضهم مع بعض...²⁸."

ثانياً/ بناء النظام الأسري في النصوص القرآنية:

1. "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ"²⁹ ، حينما نتتبع ما قيل في تفسير الآية المباركة نجد أنها "...الآية الكريمة بعد الآيات السابقة كالنعميم بعد التخصيص فإنه تعالى...عم الخطاب فخطب المؤمنين عامة أن يؤدبوا أنفسهم وأهليهم ويقوه من النار التي وقودها نفس الداخلين فيها؛ أي أن أعمالهم السيئة تلزمهم وتعود ناراً تعذبهم ولا مخلص لهم منها ولا مناص عنها...³⁰"، وكذلك في تفسير "... (وَأَهْلِيكُمْ نَارًا) يقول: وعلموا أهليكم من العمل بطاعة الله ما يقون به. أنفسهم من النار...³¹ ". "...وأهل الرجل أخص الناس به"³².
2. "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ"³³ ، "...ذكر المفسرون أن الآية مسوقة لنفي التفاخر بالأنساب، وعليه فالمراد بقوله: «من ذكر وأنثى» آدم وحواء؛ والمعنى: أنا خلقناكم من أب وأم تشتركون جميعاً فيهما من غير فرق بين الأبيض والأسود والعربي والعجمي وجعلناكم شعوباً وقبائل مختلفة لا لكرامة لبعضكم على بعض بل لأن تتعارفوا فيعرف بعضكم بعضاً ويتم بذلك أمر اجتماعكم فتستقيم مواسلاتكم ومعاملاتكم فلو فرض ارتفاع المعرفة من بين أفراد المجتمع انفصم عقد الاجتماع وبادت الإنسانية فهذا هو الغرض من جعل الشعوب والقبائل لا أن تتفاخروا بالأنساب وتتباهاوا بالآباء والأمهات...وقيل: المراد بالذكر والأنثى مطلق الرجل والمرأة، والآية مسوقة لإلغاء مطلق التفاضل بالطبقات كالأبيض والأسود والعرب والعجم والغني والفقير والمولى والعبد والرجل والمرأة؛ والمعنى: يا أيها الناس إننا خلقناكم من رجل وامرأة فكل واحد منكم إنسان مولود من إنسانين لا تفرقون من هذه الجهة، والاختلاف الحاصل بالشعوب والقبائل - وهو اختلاف راجع إلى الجعل الإلهي - ليس لكرامة وفضيلة وإنما هو لأن تتعارفوا فيتم بذلك اجتماعكم...³⁴ ، "...وجعلناكم متناسبين، فبعضكم يناسب بعضاً نسباً بعيداً، وبعضكم يناسب بعضاً نسباً قريباً...³⁵."

3. "وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ"³⁶؛ "...أي رهطك المخلصين..."³⁷، "...بدأ بأهل بيته وفصيلته..."³⁸.

استنتاجاً من النصوص المباركة المفسرة، أنّ الأسرة هي نواة تتشكل من طرفين (الزوج/الأب، والزوجة/الأم)، ومن ثم تتناسل وتتكاثر فتتعدى إلى الأولاد، وهكذا الأقربون ثم الأقربون... فلا يوجد تعريف يحدّ مفهوم الأسرة بالتحديد؛ لأنّه مفهوم واسع متعدد الدلالات؛ لذا فما جاء في وصف تفسيري للآيات المباركة وما دلت عليه الألفاظ المستعملة بمعنى الأسرة وهي (أَهْلِيكُمْ، وَذَكَرٍ وَأُنْثَى، وَعَشِيرَتَكَ، رهطك...) فهذه الألفاظ يوثقها التعريف في اللغة "الأسرة: عَشِيرَةُ الرَّجُلِ وَأَهْلُ بَيْتِهِ... والدَّرْعُ الحَصِينَةُ، وَالْأُسْرَةُ الحَصْدَاءُ، وَالْبَيْضُ الْمُكَلَّلُ، وَالرَّمَا ح وَأَسَرَ قَتَبَهُ: شَدَهُ"³⁹... "وَأُسْرَةُ الرَّجُلِ رَهْطُهُ، لِأَنَّهُ يَنْقَوِي بِهِمْ..."⁴⁰، كما أنّها في البعد الاصطلاحي؛ هي الجماعة الإنسانية التنظيمية المكلفة بواجب استقرار المجتمع وتطوره⁴¹.

بناءً على ما مرّ من تفسير وتحليل لمفهوم الأسرة بما دلّ عليها من المفاهيم تتأسس نظرية الرابطة الأخلاقية التي أصلها المنهج القرآني بين (البرّ/الأسرة)؛ أنتجت معيارية قيمية صار لزاماً على الفرد المسلم/المتدين أن يتمثلها تمثلاً حقيقياً صادقاً؛ حتى يتمكن من أن يؤسس نظاماً أسرياً تكون مرجعيته المعيارية القيمية متمثلة بفهوم (البرّ)...

المبحث الثاني

الآثار الإيجابية لمفهوم البر في بنية النظام الأسري

من طريق الاستعراض النظري للمفهومين (البرّ/الأسرة)، وما ارتبط بهما من خط مفهومي، ومن طريق الآراء التفسيرية، والتحليلية، والمعرفية النظرية تتضح ملامح الآثار الإيجابية لمفهوم (البرّ)؛ كونه معياراً قرآنياً قيماً يسهم وعلى نحو كبير في بناء الحياة الإنسانية، وهاهنا يتطلع الفرد إلى بناء شخصيته وأنماطها المختلفة في ضوء هذا المعيار وينظم بنيتها، وهو يروم تكوين أسرة ناجحة يسودها الجمال الحياتي بقيمه المختلفة؛ لأنّه -الجمال- يعدّ من الأطر الرئيسة في (البرّ)... إذ إنّ صاحبه يمارس الفعل بصورة جميلة، بكل خصائصها ومقوماتها؛ أي إنّّه يرتقي في ممارسة الفعل إلى مستوى الكمال؛ لأنّ مفردة الجمال تحمل معنى الجمع والضم، ومعنى الحسن والبهاء، وذلك هو معنى الكمال، وهذان المعنيان متلازمان كذلك ضرورة، بمعنى أنّ أحدهما ينتج الآخر⁴²، فأخلاق الأبرار تجمع بين صفتي الصدق في الفعل والسعة في استكمال محاسنه⁴³.

إنّ هذا الوضع الذي يريده الإسلام ويسعى إلى التحقق به، لا يمكن الإنسان من تكثيف معطياته الابداعية والحضارية عموماً فحسب، بل انه كذلك يضعه في الموضع (الجميل) الذي يليق به، ابناً باراً لهذا العالم وخليفة عن الله فيه وسيداً على الخلائق والعالمين⁴⁴.

لذا فإنّ كمالية التربية الجمالية لا تشمل فقط على كل ما نعمله لأنفسنا، أو ما يعمله الآخرون لنا بقصد تنشئتنا وتقريبنا من درجة الكمال بقدر المستطاع، ولكنها فوق ذلك تشمل الآثار غير المباشرة التي تؤثر في أخلاقنا وطباعنا ومواهبنا الإنسانية، وكل ما يساعد على صقل الشخصية الإنسانية ويخرجها على نحو الذي ينسجم والقيم الجمالية⁴⁵.

وتحقيقاً لهذه الآثار الإيجابية لابد من تحقيق العملية التواصلية بين القرآن والإنسان وتدبر مفاهيمه واستيعابها بما ينسجم وأكرميته التي خصها الله تعالى بها؛ فلا بد من معرفة ذاته/الإنسان، وتحسين مدركاته وتطوير تقنيات فهمه، وتنمية ذائقته الاستيعابية؛ وعليه تتحدد آثار البرّ بجملة أمور أهمها:

- 1- أخبر الله تعالى في نصوصه المباركة أنّ البرّ وما يتصف به من دلالات وخصال وأصول الإيمان جميعها تتعلق بالكمالات الإنسانية التي هيّ من قبيل صحة الاعتقاد.
- 2- إنّ العبادات وما يتعلق بها من شرائع ظاهرة، متعلق بالكمالات النفسية التي هيّ من قبيل حسن معاملة الأهل (الأسرة) ومراعاة حقوقهم...
- 3- البر لا يرتبط بشيء من المظاهر والصور والأشكال، إنّما يرتبط بالحقائق ولبّ الأمور وروح التكليف، فأعمال الخير والطاعات المتمثلة بالشعائر التعبديّة، إنّ أداها الفرد المسلم مجردة من المشاعر وكانت غير متوافق مع سلوكه من خلق حسن وقلب سليم؛ فإنّها لا تحقق البرّ...⁴⁶.
- 4- الخطاب الإلهي الذي تضمنته آيات البرّ، خطاب لكل نفس حريصة على تصحيح مسار تفكيرها، وخطة سيرها إلى الله، لتعيد النظر فيما تقوم به من صالح الأعمال، فتجدد النية، وتقوّم السلوك لتعيش حياة الأبرار الطيبة⁴⁷.
- 5- إنّ البرّ، بما استوعبه من معنى عميق... ليجعل الفرد (المتدين) متطلع إلى بلوغ هذا المقام الرفيع... ويسعى للكمال ما استطاع ليحقق البرّ في دلالاته المختلفة، في إيمانه، وعباداته، وأخلاقه، وفي صلته بوالديه وأقاربه وجيرانه...⁴⁸.
- 6- خصّ الله تعالى وصيته بالوالدين كثيراً دون وصيته بالأبناء فلا يعدّ ذلك تقليلاً للأبناء، ولا إباحة للأباء أنّ يفعلوا ما يحلو لهم مع الأبناء؛ بل إنّ طبيعة الأبوة دافعة لهم للسير بالأبناء فيما يصلحهم وينشئهم على العزة والكرامة، وتكوين الشخصية، وحرية الرأي فيما يرونه خيراً لأنفسهم وفي حياتهم الخاصة⁴⁹.

بهذه الآثار القرآنية للبرّ تبنى الأسرة المسلمة كما يريد الله تعالى على تبادل الحب والإحسان، وتبادل الحقوق والواجبات، فالقرآن الكريم لم يعن هذه العناية كلها بحق الوالدين نظراً لشخصهما فحسب بل نظراً لأنّهما عمادا الأسرة، وأنّ الأسرة منبع لا بد لها من التكوين الذي يستظل فيه أفرادها بظل العزة والسعادة، فتكون هذه الأسرة منبعاً لأفراد صالحين تنتفع بهم مجتمعاتهم⁵⁰.

الخاتمة، تضمنت أهم النتائج والاستنتاجات.

1. انطلاقاً مما أشرته نتائج البحوث والدراسات والأدبيات ذات العلاقة المختلفة، تحددت إشكالية البحث المتعلقة بالأسرة، فقد أصبحت مشكلاتها معقدة مركبة على الرغم من أنّها تحررت من العادات والتقاليد الاجتماعية التي تتصف بالمعقدة.
2. أحتمل مفهوم البر في كتب التفسير واللغة أكثر من دلالة منها؛ الصدق، والطاعة، والمحبة، والصلح، والرحمة، والاتصال/الصلة، والإيمان، والوفاء، والسعة، والإحسان...).
3. يعدّ (البرّ) بوصفه معياراً لتنظيم نظرية أخلاقية إذا ما اتقن معناها، وأحسن تمثيلها، فإنّها تضع معياراً أخلاقياً لتربية الفرد، والأسرة، والمجتمع... لتكون باباً مهماً في الدين والتدين، ومنهجاً واضحاً في السلوك الإسلامي، يتقبل الآخر ويتعايش معه مهما كانت مسافته الاتصالية.
4. إنّ ما دلت عليه الألفاظ المستعملة النصوص القرآنية بمعنى الأسرة وهي (أَهْلِيكُمْ، وَذَكَرِ وَأُنْثَى، وَعَشِيرَتَكَ، رَهْطَكَ...) وقد وثقتها الدلالات اللغوية (عَشِيرَةُ الرَّجُلِ، وَأَهْلُ بَيْتِهِ، وَالذَّرْعُ الحَصِينَةُ، وَالْأُسْرَةُ الحَصْدَاءُ، وَأُسْرَةُ الرَّجُلِ رَهْطُهُ)، أنتجت تصوراً واضحاً لمفهوم (الأسرة) بأنّها؛ جماعة إنسانية منظمة تكون المجتمع وتؤثر فيه.
5. إنّ بناء نظام أسري متكامل محوره برّ الوالدين؛ كونهما عمادا الأسرة، يسهم في بناء هذه الأسرة أخلاقياً، وتنظيمها حياتياً، و بث روح التعاون، والحب، والجمال القيمي، وبالنتيجة تقويم سلوكها/الأسرة.

الهوامش :

- 1 - الحربي، سلطان مسفر، أولويات المشكلات الأسرية المعاصرة للأسرة السعودية، ص3.
- 2 - حطيم، علي حسين، السلطة الأبوية في الأسرة العراقية المتغيرة، ص1071
- 3 - أبو داهش، المشكلات الاجتماعية في الرياض: أسبابها وآثارها في العلاقات الأسرية، ص43.
- 4 - حطيم، علي حسين، (مصدر سابق). ص1071
- 5 - البقرة/ 177.
- 6 - الرازي، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني - (المتوفى: 395هـ)، مقاييس اللغة، ج/1، ص177-178.

- 7 - ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين - (المتوفى: 711هـ)، لسان العرب، ج/4 ص51-52.
- 8 - الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (المتوفى: 817هـ)، بصائر ذوي التمييز في كتاب الله العزيز ج3/ص213.
- 9 - الجزائري، نور الدين، فروق اللغات في التمييز بين مضاد الكلمات، ج1/ص71.
- 10 - الزرعي، محمد بن أبي بكر، بدائع التفسير، ج2/ص94.
- 11 - الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف (المتوفى: 502هـ)، المفردات في غريب القرآن، ص40.
- 12 - أبو داود، هناء عبد الله سليمان، البر في القرآن الكريم دراسة موضوعية، ص24.
- 13 - ينظر: خللي، عبد الرحمن، مفهوم البر والمنظومة الأخلاقية القرآنية: البنية والسياق، ص28-29.
- 14 - المائدة/2.
- 15 - الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، (المتوفى: 606هـ)، التفسير الكبير، ج2/ص213.
- 16 - فجال، محمود بن يوسف، القرآن الكريم منهج متكامل، ص57.
- 17 - <https://hodaalquran.com/rbook.php?id=5396&mn=1>
- 18 - الممتحنة/8.
- 19 - الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان في تفسير القرآن، ج2/ص221.
- 20 - الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، (المتوفى: 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، ص35.
- 21 - عبس/1-16.
- 22 - الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان في تفسير القرآن (مصدر سابق)، ج20/ص202.
- 23 - الإنسان/5.
- 24 - الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان في تفسير القرآن، (مصدر سابق)، ج20/ص124.
- 25 - المصدر نفسه، ج20/ص125.
- 26 - الاسراء/23.
- 27 - ينظر: الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، (المتوفى: 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، (مصدر سابق)، ص284.
- 28 - ابن عاشور، الإمام محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، ج6/ص73-74.
- 29 - التحريم/6.
- 30 - الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان في تفسير القرآن، (مصدر سابق)، ج20/ص335.
- 31 - ينظر: الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، (المتوفى: 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، (مصدر سابق)، ص560.
- 32 - الرازي، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، (المتوفى: 395هـ)، مقاييس اللغة، (مصدر سابق)، ج1/ص150.
- 33 - الحجرات/13.
- 34 - الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان في تفسير القرآن، (مصدر سابق)، ج18/ص326.
- 35 - ينظر: الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، (المتوفى: 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، (مصدر سابق)، ص517.
- 36 - الشعراء/214.
- 37 - الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان في تفسير القرآن، (مصدر سابق)، ج15/ص336.

- 38 - ينظر: الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، (المتوفى: 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، (مصدر سابق)، ص 376.
- 39 - ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين، (المتوفى: 711هـ)، ج4/ص19-20.
- 40 - الرازي، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، (المتوفى: 395هـ)، مقاييس اللغة، (مصدر سابق)، ج1/ص107.
- 41 - الخشاب، مصطفى، علم الاجتماع العائلي، ص 43.
- 42 - قوطيط، نور الدين، مفهوم البر، <https://www.alukah.net/sharia/0/7613/>.
- 43 - ينظر: خللي، عبد الرحمن، مفهوم البرّ والمنظومة الأخلاقية القرآنية: البنية والسياق، ص129.
- 44 - خليل، عماد الدين، مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي، ص30.
- 45 - Russel, Education and the social order.p55.
- 46 - ينظر: أبو داود، هناء عبد الله سليمان، البرّ في القرآن الكريم دراسة موضوعية، (مصدر سابق)، ص25.
- 47 - ينظر: شلتوت، محمود، تفسير القرآن الكريم، ص30.
- 48 - ينظر: أبو داود، هناء عبد الله سليمان، البرّ في القرآن الكريم دراسة موضوعية، (مصدر سابق)، ص31.
- 49 - ينظر: المصدر نفسه. ص429.
- 50 - أبو داود، هناء عبد الله سليمان، البرّ في القرآن الكريم دراسة موضوعية، (مصدر سابق)، ص429.

المصادر والمراجع

(القرآن الكريم)

- ابن عاشور، الإمام محمد الطاهر ، تفسير التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس. د.ت.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين-(المتوفى: 711هـ) ، لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت، 1414هـ.
- أبو داهش، المشكلات الاجتماعية في الرياض: أسبابها وآثارها في العلاقات الأسرية، مكتب الاجتماع، الرياض، 2004.
- أبو داود، هناء عبد الله سليمان، البرّ في القرآن الكريم دراسة موضوعية، جامعة أم القرى، كلية أصول الدين، السعودية، 1425هـ.
- الجزائري، نور الدين، فروق اللغات في التمييز بين مضاد الكلمات، حققه وشرحه محمد رضوان الداية، ط1، دار الكتب العلمية، الرياض، 2004.
- الحربي، سلطان مسفر، أولويات المشكلات الأسرية المعاصرة للأسرة السعودية، المركز الدولي للأبحاث والدراسات (مداد)، السعودية، 1435هـ.

- حطيم، علي حسين، السلطة الأبوية في الأسرة العراقية المتغيرة، مجلة الاستاذ - العدد (203)، جامعة بغداد، 2012.
- الخشاب، مصطفى، علم الاجتماع العائلي، ط1، دار النهضة العربية، القاهرة، 1985.
- خللي، عبد الرحمن، مفهوم البرّ والمنظومة الأخلاقية القرآنية: البنية والسياق، Journal of ISLAMIC ETHICS 1 (2017) 122-157.
- خليل، عماد الدين، مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي، مؤسسة الرسالة، بيروت 1987.
- الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين النيمي، (المتوفى: 606هـ)، التفسير الكبير، ط3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1320هـ.
- الرازي، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني - (المتوفى: 395هـ)، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، سوريا، 1979.
- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف (المتوفى: 502هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط1، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، 1412هـ.
- الزرعي، محمد بن أبي بكر، بدائع التفسير، دار ابن الجوزي، الرياض، 2006.
- شلتوت، محمود، تفسير القرآن الكريم، ط4، دار القلم، بيروت، 1996.
- الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان في تفسير القرآن، صححه وأشرف على طباعته: الشيخ حسين الأعلمي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط1 محققة، 1997.
- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، (المتوفى: 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، ط1، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2000.
- فجال، محمود بن يوسف، القرآن الكريم منهج متكامل، دط، (كتاب آلي)، 2006.
- الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (المتوفى: 817هـ)، بصائر ذوي التمييز في لطائف كتاب الله العزيز تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1973.
- قوطيط، نور الدين، مفهوم البر، <https://www.alukah.net/sharia/0/7613/>
- <https://hodaalquran.com/rbook.php?id=5396&mn=1>
- Russel، B. (1977). Education and the social order، London، George Allen and Unwin.